مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية
ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767
المجلد 07 / العـدد: 01 (2021)، ص 245- 259

الأساس الميثولوجي للفكر الإنساني

The mythological basis of human thought

فاطمة صياد
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف : sayedfatima81@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/27 تاريخ القبول: 2021/06/06 تاريخ النشر: 2020/06/23

ملخص:

شَكَّلَ الفِكرُ الميثولوجي منذ العهود الأولى للإنسانية، وسيلة للتعبير عن آمال وآلام الإنسانية وعن رؤيتها للوجود والحياة والموت... الحقيقية منها والخيالية، الممكنة والمستحيلة على حد سواء. ولأن الأسطورة رمز للتفكير والتساؤل، فهي تعبير واسع عن علاقة الإنسان بمحيطه من جهة، وبعلاقته بالزمان ككائن ذو أبعاد ثلاث: ماضي وحاضر ومستقبل من جهة أخرى، الأمر الذي جعلها بالتالي تلعب دورا كبيرا في تجسيد محاولات الإنسان الأولى لفهم ظواهر الطبيعة، ونشوء الفكر الاجتماعي والفلسفي لدى مختلف الشعوب ،لتتحول هذه الأساطير تدريجيا إلى معتقدات فكرية وفلسفية عن أصل العالم وصيرورته.

الكلمات المفتاحية: الميثولوجيا- الفكر الإنساني- استمرارية- الفكر القديم والمعاصر.

Abstract:

the mythological intellect has formed, since the first ages of humans, a way of expressing both of hopes and pains to the humanity, and on it's view of existence, life and death... ... real and imaginary, possible and impossible. And because myth is a symbol of thinking and inquiry, it is a broad expression of man's relationship with his surroundings on the one hand, and his relationship with time as a being with three dimensions: past, present and future on the other hand, which made it thus play a major role in embodying man's first attempts to understand the phenomena of nature and the emergence of social and philosophical thought. Among different peoples, to gradually turn these myths into intellectual and philosophical beliefs about the origin and process of the world.

Key words: mythology - human thought - continuity - ancient and contemporary thought.

المؤلف المرسل

1-مقدمة:

احتلت الأسطورة مكانة هامة لدى الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس، بوصفها مرحلة مهمة من مراحل الفكر البشري لفهم أهم المشاكل الوجودية التي ارتبط بها الإنسان قديما وحديثا، هذه المشاكل التي تلقي الضوء على تعقيدات الإنسان المعاصر وتشابك حياته، والميثولوجيا نظام مؤلف من مجموعة أساطير مشتقة ومترابطة، لهذا نجد لدى بعض الشعوب البدائية أنظمة خاصة بعلم الأساطير معقدة كل التعقيد، فهي تمثل خلاصة تفكير شعب ما في عصر ما، وقد كانت تعنى بالقصص التي يلعب الخيال فيها الدور الأول كخوارق الطبيعة وأعمال الآلهة، والقصص الحيوانية الغريبة وكلها تعكس طريقة تفكير تلك الشعوب وتقييمهم لما يحيط بهم من معان يصعب عليهم التعبير عنها بشكل واضح، أي أنّها واقع ثقافي جد معقد يمكن ان يتناول ويؤوّل من منظورات متعددة ومتكاملة.

إنّ هذا الدور الذي لعبته الأسطورة في المجتمعات القديمة والمجتمعات التقليدية جعلها تلعب نفس الدور الذي تلعبه الميتافيزيقا في الثقافات المتطورة، التي أعلت من شأن الفلسفة، فهي رغم عدم عنايتها بتكوين المفاهيم، والمصطلحات التي اشتهرت بها الميتافيزيقا (وبقية موضوعات الفلسفة) إلا أنها تدور حول نفس هذه المفاهيم والمصطلحات وتعالجها على طريقتها، وسيلتها في ذلك الرمز، والأفعال الطقوسية ذات المعنى والمغزى العميق، "فالنظام الذي تخلقه الأسطورة فيما حولها، ليس نظام العقل المتعالي الذي يجعل نفسه خارج العالم، ثم يفسره عن بعد، وكأنه شيء غريب عنه، بل هو نظام الإنسان المتعدد الأبعاد الذي لا يستطيع أن يرى نفسه خارج العالم الذي يعمل على تفسيره" (السواح، 1997، ص21).

فهل الأسطورة مجرد شكل رمزي، أم هي رؤية للكون وللعالم والإنسان ما زالت مستمرة معنا الى اليوم؟ وإلى أين يمكن أن تقودنا الأسطورة في مسارها التاريخي؟

2-خصائص الفكر الميثولوجي:

إذا نظرنا إلى الأسطورة من زاوية كونها محاولة فكرية بدلها الإنسان في سياق بحثه عن هويته وعن تفسير معنى وجوده بالذات، فإننا سوف نصل بالضرورة إلى تفسير يرى الأسطورة مزيجاً من العقل والخيال تتوحد فيه نظرة الإنسان إلى ذاته وإلى الطبيعة والعالم.

فقد كان الإنسان في الأساطير الأولى يصارع في سبيل توضيح الغموض الذي يكتنف وجوده، محاولاً أن يجد الإجابات على المتناقضات الظاهرة في هذا الوجود. ليعبر عن ذلك بصور ميثولوجية أسطورية عن وعيه بالوجود الذي لازمه منذ لحظة وجوده. (الخطيب، 1999، صفحة 12)

كما بدأ التفكير الأسطوري يبرز لحظة ازدياد الحدة في العلاقة بين الإنسان وذاته وبينه وبين الطبيعة، وبالتالي فهو رد فعل ذهني تلقائي، على كافة التساؤلات التي يثيرها الوجود الإنساني، مثل معاني الحزن، والفرح، والخطيئة والحياة محيطه الاجتماعي والطبيعي خاصة (الخطيب، 1999، صفحة 14) ،لتصبح بذلك الأسطورة ثمرة إنتاج معين لخيال شعب من الشعوب في شكل حكايات وروايات.

وتأسيسا على ذلك ،نجد للأسطورة دلالة عقلانية في ضوء الفكر الاجتماعي من حيث هي"جملة أفكار تدخل على حياة البشر، فيتمكن الإنسان من خلالها الخروج من آثار الروتين وتكوين رؤية مستقبلية".(وهبة، صفحة 86)

3-الفكر الميثولوجي في المجتمعات القديمة:

على الرغم من وجود أفراد متميزين في المجتمعات الأولى، والمجتمع الحجري، كانوا يشرفون على الطقوس الدينية ويقومون بالتوسيط بين العالم الدنيوي والعوالم القدسية، إلا أن هؤلاء لم يتخذوا صفة الكهان الرسميين، إذ لم يتمتعوا بسلطة مطلقة على الحياة الدينية، فكانت الطقوس متمركزة في أماكن مقدسة آنذاك، كالغابة أو

النهر...، أو موضوعات مقدسة، كالشجرة أو الصخرة، ولكن مع تطور المجتمعات من مجتمع حجري إلى مجتمع زراعي، بدأت تظهر بعض الملامح التي تدل على وجود بيوت متواضعة مخصصة لأغراض دينية وحتى في هذه الفترة لم يثبت وجود شخصيات ذات طابع اجتماعي متميز مثل الملوك ورجال الدين، ذلك من خلال الدراسة المدقّقة لعادات الدفن والهدايا الجنائزية المرافقة للموتى.

وقصد التأكيد على حضور النص الأسطوري خلال مختلف مراحل التفكير خاصة لدى المجتمعات القديمة، سنعرض هنا لأبرز محطات الفكر الإنساني الذي تمثل الميثولوجيا أساسا له، مما يساعدنا على تمييز ما خلفه العقل البشري بوضوح بين ركام ما تركوه من حكايا وقصص وأناشيد وأمثولات.

4- الفكر الميثولوجي عند المصريين:

لا يمكن الجزم بخلو الأمم الشرقية عامة من التفكير العقلي والتمحيص، ذلك أننا نجد لدى الشرقيين عناصر هامة من الحكمة العقلية ،ولكن هذه العناصر لم ترق إلى مستوى البحث النظري المنظم، والنظرة الكلية الشاملة بل ظلت محجوبة بسحب كثيفة من المذاهب الدينية والأساطير الشعبية والاهتمامات العملية، وهذا يبدو جلياً في حضارة مصر القديمة، إذ أن النصوص العظيمة التي أفصح فيها حكماء مصر القدماء عن سمو تصوّرهم للأخلاق وخلود النفس والعقاب في الحياة الثانية، تبدو على حد قول البعض كجزية صغيرة من العقائد الخالصة جداً تضيع في خضم واسع من النصوص السحرية.(مرحبا، صفحة 60). هذا وقد عرف الفكر الأسطوري عند قدماء المصريين من خلال أسطورة التكوين المصرية مثلا، وذلك عندما أخذ المصريون بالزراعة الدورية المنظمة حسب الفصول، واستخدام مشاريع الري. إذ شعروا بأهمية المياه، لأنها هي التي تمنح الغذاء والحياة للإنسان خاصة، بعد أن رأوا ما كان يتركه نهر النيل عند انحساره، بعد الفيضان من طمي صالح للزراعة، وما يخرج من هذا الطمي من حيوانات كالخنافس وغيرها، لذلك آمن المصريون بأن الكون نشأ من الماء الأزلية التي ألهوها ودعوها بالإله

"نون"،معتبرين في الوقت ذاته نهر النيل ألوهيّة عظيمة خيّرة تتدفق لتمنح الحياة للبشر، وليس هذا فحسب، بل تصوّروا أن كثير من الآلهة خرجت من الإله "نون".

ومنه فإن المتطلّع إلى الحضارة المصرية الأولى لأول مرة يشعر أنه ينتابه شعور غريب ورائع، وأنه ينجر في مغامرة من مغامرات الخيال، حيث يحيطه من كل جانب كائنات لا يمكن أن ينتجها إلا فكر سريالي يجعل من الصقور والطيور وكائنات أخرى لم توجد أبداً إلا أبطالاً لملحمة أسطورية سواءً على الأرض أو في السماء أو العالم السفلي، كائنات هي إرادة وفكر، وقدرة وتأثير خلقها البشر، حيث قدموا لها القرابين والهدايا، وصلّوا لها بأجمل الكلمات لتمنحهم فضلها، إنه عالم مملوء بالأسرار والخاوف والظلمات والآمال، والحب والسحر والخرافة.(لنتون، صفحة 34)

5- الفكر الميثولوجي في بلاد ما بين النهرين:

كانت الأسطورة تشكل المعتقد النظري لسكان بلاد ما بين النهرين وذلك لرؤيتهم العملية في التكوين (نشأة الكون) مثل أسطورة إينومه إيليش (حينما في العلى) تقول هذه الأسطورة بأنه في البدء لم يكن سوى الماء والعماء يعم كل شيء (الفوضى) ومن العماء الكبير (العظيم) ولدت أولى الآلهة ومع مرور الزمن قررت بعض الآلهة إقامة النظام في الكون، فأثار ذلك غضب الإله (إبسو) وزوجته (تعامه) التي صورت على شكل تنين كوني فقررت الانتقام لزوجها.

عند ذلك قامت آلهة النظام بقيادة الاله الشاب (مردوخ) وقتلت (تعامة)، في معركة دموية هائلة، وشطروا جسدها إلى شطرين أحدهما صار الأرض والآخر السماء، أما دم (إيبسو) فحبلوه بالطين ومن هذا الطين ولد الإنسان الأول.(المهدي،2009،ص139)

بالإضافة إلى الأساطير المتعلقة بنشأة الكون وظهور الإنسان، وضع السوماريون والأكاديون مجموعة أخرى من الأساطير يفسرون بها تبدل الفصول بالطبيعة مثل قصة (موت) وانبعاث الإله (تموز). حيث تقول الأسطورة أن: الإله تموز قُتل في عملية صيد،

فتذهب (عشطار) زوجته إلى العالم السفلي المظلم لاسترجاعه إلى الحياة مجدداً فتحتجزها هناك الإلهة القاسية (أرشي كيفال)، وأثناء احتجازها هناك يتوقف كل شيء عن الولادة والنمو على الأرض وينتشر القحط في الطبيعة، مما أقلق ذلك بقية الآلهة، فتطلب من (أرشي كيفال) إعادة (عشطار) إلى الأرض ومعها كأس من ماء الحياة أعادت بواسطته الحياة إلى (تموز) وبعودتها تحيا الطبيعة وتستكمل دورتها من جديد. والأسطورة هنا واضحة، فتموز رمز الحياة يموت ثم يحيا بواسطة الإله عشطار إله الخصوبة والخير المنتصرة على الموت.(المهدي،2009،ص131)

كما يظهر الفكر الأسطوري بصورة واضحة وجلية عند البابليين من خلال أعظم ما أنتجه الأدب الشرقي القديم، أسطورة "قلقامش"، التي هي أقدم أسطورة في تاريخ البشرية، وجدت مسجلة على لوحات مسمارية، في أربع من لفات الشرق القديم: السومرية، الأكادية، الجورية والحثية. إذ نجد في هذه الأسطورة صدى صارخاً لموضوعية هامة، موضوعية الوجود التراجيدي للإنسان، الإنسان الذي يعي نهايته ومحدوديته على قاعدية خلود الآلهة وأبدية الكون.

إن هذه الملحمة البطولية ما تزال خالدة وذات جاذبية إنسانية عامة في جميع الآزمان والأمكنة، لأن القضايا التي عالجتها لا تزال تشغل بال الإنسان وتفكيره وتؤثر في حياته الفكرية والعاطفية، مما جعل مواقفها وحوادثها مثيرة للغاية، كما استطاعت أن تصور تصويراً بارعاً ذلك الصراع الأزلي بين الموت والزوال المقدرين، وبين إرادة الإنسان المغلوبة في محاولتها التشبث بالوجود والبقاء فهي بذلك تمثل التراجيديا الأزلية المتكررة.(الذنون، 1993، صفحة 55)

6- الفكر الميثولوجي عند الإيرانيين:

يعتبر زرادشت مؤسس الزرداشتية كديانة للإيرانيين، لا يعرف عنه القليل، إذ تحيط سيرته هالة من الأساطير، حيث تدعو الزرادشتية إلى عبادة إله واحد (آهورا مزدا) **(Ahurramazda)** خالق الوجود، حيث اتخذت من الشمس والنار رمزين ماديين يدلان

على بعض مظاهر الخالق كنوع من التقريب والتمثيل، حرصت على أن يوقد في كل معبد شعلة من النار متوهجة مضيئة ترتب حولها الأدعية وتقام الصلوات، كما يرمز أيضاً إلى عالم الشر والفساد والظلام باسم (آهري مان) **(Ahriman)** (إله الشر والموت والمرض)(مرحبا، صفحة 61)

ومن هنا ينبع سلطان الأسطورة وسيطرتها على النفس، ذلك أن الأسطورة تعطينا ذلك الإحساس بالوحدة، الوحدة بين المنظور الغيبي، بين الحي والجامد، بين الإنسان وباقي مظاهر الحياة.(السواح، الأسطورة والمعنى، صفحة 15)

7- الفكر الميثولوجي عند الهنود:

إذا انتقلنا إلى الحضارة الهندية، فإننا سنجد شعبها هو الشعب الشرقي القديم الوحيد الذي يمكن أن يقال عنه أن له أنظار فلسفية يمكن التماس خطوطها العامة في "الفيدا"(مرحبا، صفحة 61) ،ولهذا نجد أن قيمة الفلسفة الهندية ترتكز أساساً في التفكير الروحي، فهي تدرك الإنسان روحياً في طبيعته.

كما نجد بأن الأدب الفلسفي الهندي عموماً، قد اتخذ أشكالاً عديدة ميثولوجية، محاولا بذلك الرفع من مستوى الحياة الروحية، باعتبارها المقصد والغاية، أما ما عدا ذلك فهو لا يعني شيئاً على الإطلاق، فالمسائل الدينية كانت ولا تزال سبب قوة، وغاية العقل، والروح الفلسفية الهندية، بحيث تشكل الأسطورة ضرورة لهذه الروح وطريقة لتلك الفلسفة، وهذا في ظل اعتقاد أصحاب الرؤى الدينية أن الديانة الحقة تتضمن كل الديانات، فالله واحد لكن الناس يدعونه بأسماء مختلفة.

فأناشيد(ر ج فيدا) تعبر عن أساطير ، وهي قصص رمزية، وكتابات غير ناضجة، لكنها أصل ومصدر الفلسفات المتأخرة للفكر الآري الهندي، وتعتبر دراستها ضرورية، فهي تحتوي على 1107 أنشودة تقسم إلى عشرة كتب.

كما تمثل الحقبة الأولى لتطور الإدراك الديني، وتدلّ على دهشة العقل إزاء الكون، وتوجد فيها عبادة الآلهة مثل أجني (النار)، و دايوس (الفضاء أو السماء) ، ماروتس (العاصفة)، فايو أو فاتا (الرياح)، آباس (الماء)، ويرتيفي (الأرض)، وهنا نجد أنه حتى الآلهة لم تعد واضحة أو ذات معنى، حيث كانت لها صلة بالمظاهر الطبيعية.(زمور، 1967، صفحة 27). ويتضح هنا أن الشعب الهندي كسائر الشعوب الأخرى السابقة قد عرف الفكر الأسطوري، ذلك أن الأسطورة ظلت حاضرة في مختلف أنماط التفكير الهندي والذي كان يدور أساساً حول الآلهة والكون.

8- الفكر الميثولوجي عند الصينيين:

إذا أمعنَّا النظر في الحضارة الصينية، فإننا نجد أن تفكير الشعب الصيني ينطبق عليه ما ينطبق على التفكير الهندي بوجه عام، وهذا لتقارب المناخ العقلي والتقاليد الدينية بين البلدين.

فالحضارة الصينية انبثقت عن الديانة القديمة التي تنادي بعبادة السماء العُليا ووجدت ما يقوم بين الأشياء من علاقات وربطها برباط محكم من القانون والسببية والتي ترتبط بها أيضاً ارتباطاً وثيقاً عبادة الأرواح وخصوصاً عبادة الأسلاف.

وما يمكن ذكره هنا، أن التفكير الصيني كان في جوهره وليد التصورات الطبيعية القديمة، التي نشأت عن تقلب الليل والنهار وتعاقب الفصل والأشياء حسب "اليين" **"Yin"** و "الينغ" **"Yang"**، فتعارض هذين المبدئين وتعاقبهما وارتباط أحدهما بالآخر، وتغيرهما وفقاً لنظام "الطاو"، هو الذي يفسر سير الحوادث وحياة العالم.(مرحبا، صفحة 70)

ولهذا نجد "كونفوشيوس" - أحد أبرز الحكماء الصينيين - يعطي الأولوية للشعائر والطقوس الدينية باعتبارها أساساً للنظام الكوني والاجتماعي.(مرحبا، صفحة 72)

والملاحظ هنا، أن الفكر الميثولوجي يطغى على جل المجتمعات القديمة بل يشكل أساسا قويا لها ، وان كانت معظم الأساطير تدور حول الآلهة، وخلق الكون وظهور

الإنسان، ودور الآلهة في الخلق، سواءً كان ذلك في سومر، أو مصر القديمة، أو في الهند، أو في الصين.

9- الفكر الميثولوجي عند اليونان:

أما بالنسبة للإغريق، فقد كان اليونانيون سادة الخيال الواسع بفضل الشعر فكانت قصائد "هزيود"و "هوميروس" ذات صيت في ذلك الوقت، كما تعد هذه القصائد من أقدم ما وصل إلينا، و بما أن اليونان كانت مهداً للثقافة والفكر، ومنها ظهر العلم والفلسفة.(كرم، صفحة 4) فنستطيع القول هنا أن الميثولوجيا بمثابة بذرة كانت ثمرتها الفلسفة.

"فهزيود" نظم ديواناً أسماه "الأعمال والأيام" وهو يحوي أساطير وخرافات، منقسم إلى أربعة أقسام، أولها تضمن الأخلاق، وثانيها نصائح زراعية، أم الثالثة فكانت عبارة عن مجموعة من الإرشادات عن العلاقات الاجتماعية، والرابع يدلّ على أيام السَّعد والنحس.

أما "هوميروس" فكانت له قصيدة في الإليادة والأوديسا، وترجع هذه الأسطورة إلى زواج الأرض بالسماء المحيطة بها، و ولادة "إفناسيوس" الذي هو المصدر الأول، كما يضيف الشاعر ويقول أن الإنسان مزيج بين روح وجسد، والجسد مكون من تراب وماء ينحل بمجرد وفاته.(كرم، صفحة 4)

ويتضح هنا أن اليونان قد نهلوا كثيراً من شعر الأوديسا وتدارسوه جيلاً بعد جيل، وتأثروا به تأثيراً قوياً في الدين والأخلاق، وما زال تفكيرهم خصباً، وتطور من خلال "أسرار النحل" و "أسرار الأورفية" "فالنحل ترى بأن"حياة الإنسان ظل زائل ووجوده بعد الموت ظل الظل".(الألوسي، صفحة 126)

أما "الأورفية" فتقوم على أسطورة ميثولوجية قديمة، ترى بأن الإنسان مركب من عنصرين متعارضين، هما مبدأ الخير المتمثل في "دونيوسيوس" ومبدأ الشر لمتمثل في "تزوس"، وأن الجسد بمثابة قبر للنفس، وهو عدوها اللدود، يجري معها على خصام دائم

فواجب الإنسان أن يتطهر من الشر وهذا أمر عسير، لا تكفي له حياة أرضية واحدة بل لابد له من سلسلة ولادات تطيل مدة التطهير، والتكفير عن الذنوب والآثام، إلى آلاف السنين، وقد رتبوا على هذه العقيدة طقوساً أسطورية، كانوا يقيمونها ليلاً منها التطهير بالاستحمام باللبن، أو بالماء مضافاً إليه مادة بلون اللبن، وتلاوة صلوات كالتي وردت في كتاب "الموتى" المعروف عند المصريين القدماء.(النشار، 1998، صفحة 73)

كما يتجلى الفكر الميثولوجي بوضوح أيضاً عند اليونان ،من خلال أعمال أفلاطون، إذ نجد في فلسفته آثار العاطفة الدينية الملتهبة ونشوة الحب والأسرار العميقة التي ترمز إلى وحي الآلهة.يقول "بيشلمر" : "إن الأسطورة هي الثوب الحسي التجسمي للأشياء العقلية والنظرية المجردة".(بدوي، 1979، صفحة 172)

فأفلاطون يعد من أبرز أقطاب الفكر اليوناني الذين جعلوا الأسطورة منطلقاً لأعمالهم الفكرية وتحليلاتهم الفلسفية، ففلسفته تنطلق من الشك في العالم الحسي، وذلك ما يبدو من خلال "أسطورة" الكهف" (مرحبا، صفحة 131) التي اشتهر وذاع صيته بها. إذ يصوّر لنا فيها مقام عالمنا، عالم الأشباح والظلال، مقابل عالم الحقيقة.

10- الفكر الميثولوجي عند العرب:

قبل مجيء الإسلام، كان يعتبر التعبير الشمسي والتعبير الربيعي من أكثر الأمور بدائية في نمو الميثولوجيا، فقد عبد العرب قديماً الكواكب، وكانت الشمس أهمها على الإطلاق. حيث اتخذوا لها أسماء عديدة، نظراً لتعدد صفات الشمس وتنوع حالاتها، كما جعلوا لها رموزاً مقدسة، فالمرأة والفرس، والنخلة هي وجوه متعددة لها. وقد كان صنمها هو اللات، وشاعت عبادتها في جزيرة العرب من شمالها إلى جنوبها.(قصي، 1986، صفحة 130)

وفي القرآن الكريم ذكر لهذه العبادة التي كانت ما تزال حية في الأذهان إلى عهد قريب في الإسلام، حيث يقول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ

الْأُخْرَى}*(الآية 19-20 من سورة النجم). كما عبد العرب أيضاً القمر، من الكواكب وذكروا له أسماء وصفات متعددة عرفت في لغتهم القديمة. (هنا، 1991، صفحة 74)

ومما لا شك فيه أن مثل هذه العقائد التي عرفها عرب الجنوب وعرب الشمال في الألف الأخير قبل الإسلام كانت قد تركت آثارها في ممارسات دينية، مختلفة وهي كثيراً ما ترد في كتب الإخباريين والرواة تحت عنوان (أوابد العرب) ويعنون بها أساطيرهم.(قصي، الأسطوري في الجاهلية، 1986)

في هذه الحقبة الزمنية، كان العالم كله يفهم من خلال معاني كثيرة ذات معنى أسطوري، فجميع المعارف لا تكمن غايتها في ذاتها، فهي لا مبرر لها في نظر رجال الدين، إلا بقدر ما يمكن أن تكون ذات فائدة لعلم الإلهيات.(برهييه، 1983، صفحة 10)

وبهذا نجد أن العصر الوسيط حافظ على معظم التعاليم الأسطورية اليونانية.

فمفهوم القوة الخارقة قد أخذ سبيله حتى إلى معتقدات العرب وسواهم من الشعوب، وقد قابله مفهوم التعوذ، والتعوذ يكون دائماً من شر القوة، ولاسيما أنهم كانوا ينسبون أمراضهم إلى الجن، ويعالجونها بالتقرب منها، فكان من يشتري دار، أو يستنبع عيناً، يقدم للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنصب العين.(خليل، 1986، صفحة 21)

ويمكن القول هنا، بأن الفكر الأسطوري قد تسلّل إلى الفكر الإسلامي من خلال تشجيع خلفاء المسلمين على ترجمة العلوم والفلسفات القديمة.

11- الفكر الميثولوجي في العصر الحديث والمعاصر:

في العصور الحديثة والمعاصرة، يختلف الامر عن سابقه، إذ رغم محاولة استبعاد الأسطورة من التفكير، نظراً للاتوازن الكائن بين العلم والأسطورة، بين العقل والخيال، الا انه في الفترة المعاصرة تبين لنا بأن التحليل النفسي الفرويدي انطلق من الخطاب الأسطوري لتفسير الحالاة اللاشعورية للذات الإنسانية.

كما أصبحت مدرسة التحليل النفسي الفرويدي ترى في الصور الأسطورية رموزاً أوديبية، مثال ذلك أن الطوطم يرمز إلى صورة الأب.(ودونلان، 1989، صفحة 39)

ويتحدث فرويد عن عقدة أوديب التي تتلخص في حب الولد لأمه، وكرهه لأبيه وغيرته منه، وذلك نسبة إلى الملك الذي قتل أباه وتزوج أمه من غير علم منه بأنها والدته، فلما عرف الحقيقة فيما بعد فقع عينيه حزنا.(ودونلان، 1989، صفحة 40)

إنها أسطورة أوديب التي أصبحت وسيلة لضبط منطقة اللاشعور عند الإنسان.

ويفسر "فرويد" هذا بأن الإنسان كان يعيش في ماض سحيق، في قبيلة بدائية يتزعمها أب قوي، استحوذ على جميع النساء الموجودات بالقبيلة وأبعد الأبناء الناشئين الذين يحبونه ويعجبون به، ومن هذا الموقف المشبع بالتناقض الوجداني نشأت عقدة عند الأبناء، وقد تجمع هؤلاء الأبناء بعدما قتلوا آباهم، وبدأت تظهر دوافع الحب نحو الأب وعلامات الندم على ما اقترفوه من ذنب فأخذوا بأنفسهم أباً بديلاً ورمزاً يسمونه 'الطوطم" وأخذوا يحمونه.

وقد اتجه فرويد إلى العناية بالأسطورة ورعايتها عناية فائقة، وكأنه يعتني بمريض، ويحرص على ملازمته فراشه. كما ساعده اشتغاله بالسيكولوجيا على جعله في موقف أفضل لإنشاء نظرية عن الأسطورة أكثر تماسكاً من نظريات السابقين له، لانه كان مقتنعاَ اقتناعاً راسخاً بأن أسلم طريقة هو وصفها، وتنظيم موضوعاتها وتصنيفها.

12-خاتمة:

مما سبق عرضه،نخلص الى القول بأن الفكر الميثولوجي قد شكل أساسا عميقا للفكر الإنساني ، وهذا من خلال مساهمة الأسطورة في بناء الأفكار وتطويرها خلال مختلف مراحل التفكير، كما تعد الأصل والمنطلق لمعرفة الكثير من تقاليد الأمم والشعوب القديمة، وعاداتها، وأديانها' وحياتها الاجتماعية، والروحية والمادية، فلكل شعب من الشعوب ميثولوجيا خاصة يعبر من خلالها عن حقائق خاصة بفكره ونمط حياته بطريقة رمزية وإن كانت لا تخلو من التفسيرات الإلهية والدينية، فمجمل أساطيرالمجتمعات

القديمة تبدي نظاما داخليا متماسكا ينطوي على رسالة ما، وإن بدت أحيانا مفككة ظاهريا.

وإذا اعتبرنا الأسطورة كظاهرة من الظواهر الاجتماعية تهتم بدراسة الحدث من وجهة نظر أنتروبولوجية وتاريخية ودينية، فإننا نجدها قد إهتمت أساسا بالكشف عن الحقيقة، وذلك لأنها ليست مجرد قصة خرافية فحسب، بل إن لها أساسا في الحقيقة، فهي تشير الى حقيقة معينة، وان كانت هذه الحقيقة ليست طبيعية ولا تاريخية، إنها حقيقة طقوسية، الأمر الذي جعلها تلعب بالتالي دورا هاما في نشوء الفكر الفلسفي والاجتماعي لدى الشعوب القديمة ، لتتحول بالتدريج إلى معتقدات فكرية وفلسفية عن أصل العالم وارتقائه.

فالأسطورة اذن بمثابة انعكاس لاحداث ووقائع فكرية ومجتمعية نظرا لما تحتويه العلاقات الاجتماعية من أشكال التعبير السحرية أو الطقوسية، وفي نفس الوقت توجيه عقلي لهذه الأشكال يخدم الإنسان من خلال تأمين منطلقات ذهنية تساعده في مواجهة الطبيعة بأسرارها، وظواهرها، وبالتالي تحقيق التوازن اتجاه الواقع المحيط بما يشكله من غموض وفي تنظيم علاقاته مع الآخرين، ولأنها ذات وظيفة تعليلية فهي تعتبر شكلا من أشكال العلم البدائي الذي يفسر الأصول السببية لأحداث الطبيعة ونظم البشر.

ومنه فإن القيمة العلمية للاسطورة ومكانتها الفكرية أمر يؤكده معظم علماء النفس والفلاسفة والمؤرخين وإن إختلفت تفسيراتهم لها، ذلك أنه من البديهي القول أن إختلاف المفكرين في تفسير الأساطير يعود في جانب منه إلى إختلاف الزاوية التي كان ينظر منها للأسطورة، كما يعود في جانب آخر إلى الأسطورة نفسها بوصفها ظاهرة معقدة.

وبالرغم من التعارض والتناقض الموجود بين التقدم التكنولوجي والفكر الأسطوري، لكنه في كثير من الأحوال يتعايش ويتكيف معه، خاصة عندما يكون توظيف الفكر

الميثولوجي بمثابة تعبير عن الأهداف والغايات المراد تحقيقها والتي تعكس اثباث الحقيقة ...اي الحقيقة الفلسفية بصورة خاصة.

وعلى الرغم من ظهور الفكر الفلسفي الذي كان بمثابة ثورة عقلية على الأسطورة، وبالتالي انتقال من الميتوس إلى اللوغس، إلا أنه قد ظهرت تمثلات فكرية عديدة تدعو إلى ضرورة الانفتاح عن اللاعقل، وبالتالي تأسيس نوع جديد من العقلانية، عقلانية تدعو إلى الكشف عن العقل ضمن اللاعقل وذلك لاعتقاد الكثيرين بأن العقل يحمل في ذاته بذور اللاعقل.

فالإنسان تفاعل جدلي بين العقلي والوجدان، بين العقل والخيال. وفي حياتنا قد تحضر أشياء لا نجد لها مبررات عقلية، ومن ثم لابد من الدعوة إلى عقلية تتشبث بالعقل لكنها في ذات الوقت عقلية تؤمن بضرورة الاعتقاد بأن ماهو عقلي لا يلغي كلياً ما هو لا عقلي ولا يتعارض معه.

المصادر والمراجع:

1. الآية 19-20 من سورة النجم. (بلا تاريخ).
2. الحسين قصي. (1986). *الأسطوري في الجاهلية*. بيروت: مركز الإنماء القومي.
3. الحسين قصي. (1986). *الأسطوري في الجاهلية*. بيروت: الفكر العربي المعاصر.
4. إميل برهييه. (1983). *تاريخ الفلسفة*. بيروت لبنان: دار الطليعة .
5. حسام محي الدين الألوسي. *من الميثولوجيا إلى الفلسفة*. بغداد: جامعة بغداد.
6. خليل أحمد خليل. (1986). *مضمون الأسطورة في الفكر العربي*. لبنان: دار الطليعة.
7. رالف لنتون. *كتاب شجرة الحضارة منذ فجر ما قبل التاريخ حتى بداية العصر الحديث تر: أحمد فخري*. القاهرة: مؤسسة الطباعة والنشر.
8. رضوان هنا. (1991). *الميثولوجيا عند العرب، الفكر العربي المعاصر العدد88، ، ص74*. بيروت: مركز الانماء القومي.
9. سرفبالي إدركشتا شارل زمور. (1967). *كتاب الفكر الفلسفي الهندي تر: نادر اليازجي*. دار اليقضة العربية للتأليف والترجمة.

10. عبد الحكيم الذنون. (1993). *بدايات الحضارة*. دمشق: دار علاء الدين.
11. عبد الرحمن بدوي. (1979). *أفلاطون خلاصة الفكر الأوروبي*. بيروت لبنان: دار القلم.
12. فراس السواح. *الأسطورة والمعنى*.
13. فراس السواح. (1997). *الأسطورة والمعنى دراسة في الميثولوجيا والديانات الشرقية*. دمشق: دار علاء الدين.
14. لابلاس ودونلان. (1989). *معجم مصطلحات التحليل النفسي تر: محمد حجازي*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
15. محمد الخطيب. (1999). *الفكر الإغريقي*. منشورات دار علاء الدين.
16. محمد عبد الرحمن مرحبا. *من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
17. مراد وهبة. *معجم المصطلحات الفلسفية*. مصر: دار الطباعة للنشر والتوزيع.
18. مصطفى النشار. (1998). *تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي*. القاهرة: دار قباء .
19. يوسف كرم. *تاريخ الفلسفة اليونانية*. بيروت لبنان: دار القلم.